صفحة : 44 – 32
P.D.F

2 – تاريخ القدس من منظور فاضل الربيعي[(1)] ..إعادة بناء الرواية التاريخية

بقلم: الدكتورة نضال سليمان الإمام

أستاذة محاضرة في الجامعة اللبنانية الدولية / فرع البقاع

nidal.emam@liu.edu.lb

الملخص:

لقد تأسست فكرة زائفة تطابق بين القدس العربية الإسلامية وبين أورشليم، وفي الحقيقة فإن القدس العربية لم تكن تدعم في أي وقت من الأوقات أورشليم، كما أن التوراة لم تأت على ذكر فلسطين والفلسطينيين، إنما هذه المطابقة التي روج لها المخيال الاستشراقي استنادا إلى قراءة مخلوطة لنص التوراة هي التي أدت إلى شيوع هذه الأفكار والتصورات الخاطئة.

فكان لابد من إعادة تركيب وبناء الرواية التوراتية عن التاريخ الفلسطيني استنادا إلى النص العبري، حيث تكشفت للربيعي حقائق مذهلة غيبها المخيال الاستشراقي السقيم طوال القرنين الماضيين، وذلك بهدف الترويج الزائف لأسطورة أرض الميعاد اليهودي.

ولذلك فقد قام المؤرخ فاضل الربيعي بإعادة بناء رؤية توراتية عن سقوط أورشليم تمهيدا لتقديم البرهان على الأمور المترابطة التالية:

– أولا: أن قدس– قدش الوارد ذكرها في التوراة حسب الزعم الاستشراقي ليست القدس العربية التي نعرفها والتي لم تدع أورشليم أبدا.

إن القدس اسم حديث لا يرقى لأبعد من العهدة العمرية سنة 15 هجرية حتى إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، كتبها في تلك العهدة الشهيرة بعبارة «أهل إيلياء» ولم يكتب أهل القدس، والبخاري في سرده لمروية رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) لهرقل استخدم اسم «ايلياء»، لأن هذه المدينة

(1) فاضل الربيعي :مفكر وكاتب من العراق ولد في مدينة بغداد عام 1952 ونشط في الميادين الأدبية والفكرية والسياسية منذ مطلع شبابه وامتاز نشاطه بالتنوع والجدية ولفت إليه أنظار أبناء جيله وذلك بفضل الطابع الخاص للكثير من مؤلفاته والتي زاوج فيها بين الأدب والتاريخ والأسطورة والسياسة. أبرز مؤلفاته التاريخية: القدس ليست أورشليم، أبطال بلا تاريخ ، فلسطين المتخيلة، شقيقات قريش، حقيقة السبي البابلي، الشيطان والعرش، الذاكرة المنهوبة، شحادة بشير: فاضل الربيعي المؤرخ المشكك بجغرافيا الحدث التاريخي موقع تاريخكم عام 2019.

كانت تعرف عند العرب في الجاهلية وبدايات ظهور الإسلام بهذه الصيغة ضمن التقسيم الإداري الروماني–البيزنطي في بلاد الشام وليس باسم القدس الذي ظهر تاليا مع الأمويين.

– ثانيا: القدس المدعى أن التوراة سجلت اسمها لم تذكر قط إلا في صورة جبل قدش وقصد به ثلاثة مواضع لا جبلا أو مكانا واحدا.

– ثالثا: القدس ليست فوق جبل ولا قرب جبل بينما تصفها التوراة كجبل.

– رابعا: جبل صهيون الذي يؤدي إلى أورشليم لا وجود له في فلسطين ومن غير المنطقي اختفاء جبل من الجغرافيا أو زوال اسمه أو تحول طريقة نطقه بينما يزعم التوراتيون أن كل الأسماء الواردة في التوراة صمدت على مر الزمن وأنها لا تزال موجودة في فلسطين منذ الفي عام.

– خامسا: الثورات لم تذكر اسم فلسطين فقط كما لم تشر أو تلمح مجرد تلميح إلى اسم الفلسطينيين وكل ما يزعم عن وجود ذكر لها في كتاب اليهود المقدس انما يدخل في باب الخيال الاستشراقي الاستعماري الذي تم توظيفه بدهاء من اجل تبرير عملية تهويد القدس.

لكن ما يبدو تناقضا في النص التوراتي ليس تناقضا مؤكدا، فالتوراة تقدم وصفا دقيقا بالارتباط مع أحداث بعينها ليس فيها أي قدر من التباين بمقدار ما فيها من التباس ناجم عن قراءة استشراقية طبقت بشكل تعسفي بين تاريخ فلسطين القديم وأحداث التوراة. فالتوراة وبالطريقة التي جرى فيها تأويلها هي نتاج مخيلة اوروبية استعمارية.

لذلك وجد الربيعي أنه لابد من العودة إلى النص العبري لأجل تفكيكيه وإعادة بناء روايته، وما تقوله التوراة عن سقوط أورشليم وجبل صهيون وبيت بوس والقدس. ولقد عمد الربيعي إلى ترجمة نصوص التوراة المكتوبة باللغة العبرية ترجمة دقيقة شبه حرفية، مما يجعل الاختلاف بينا وواضحا بينها وبين الترجمات الأخرى.

وقد قصد فاضل الربيعي اليمن أكثر من مرة ومكث فيها لفترات طويلة بهدف التثبت من بعض الجوانب الجغرافية والمطابقة بين أسماء المواضع الواردة في التوراة، مع ذكره الهمذاني في كتابه الشهير «صفة جزيرة العرب» حيث وجد تطابقا كبيرا بينها وكلها في اليمن.

ثم استعان بلائحة أسرى القبائل العربية اليهودية في السبي البابلي، ففي العام الأول لسقوط بابل عام 539 – 540 قبل الميلاد قرر الملك الفارسي قورش إعادة السبي من القبائل إلى مدنه وقراه الاصلية، ولاجل هذا الهدف نشر في بابل نداء الملك الذي تضمن إعلان تحرير القبائل العربية اليهودية وحقها في العودة إلى مواطنها في سرو وحمير. وإلى جانب ذلك قام قورش بإعادة ممتلكات الهيكل المنهوب من أورشليم وتسليمها إلى زعماء القبائل العائدة من السبي البابلي.

انكشفت للربيعي حقيقة أن كل القبائل التي وقعت في الأسر تحمل الأسماء نفسها الواردة في نصوص التوراة والهمداني والشعر الجاهلي، بينما لا تعرف فلسطين اسما واحدا مما ورد في هذه القوائم.

وخلص الدكتور فاضل الربيعي الى أن كل ما ورد في التوراة لا ينطبق على جغرافية كل من فلسطين ومصر وأثبت بالأدلة اللغوية والأثرية والتاريخية فضلا عن الجغرافية بأن القصص التوراتية جرت بالكامل في الأراضي اليمنية.

وقد استند الربيعي في نظريته إلى قرائن كالنقوش الآشورية واليمنية القديمة ودعا إلى إزالة هذا التزوير التاريخي والجغرافي الذي صنعته الرأسمالية الأوروبية والذي يدفع ثمنه الفلسطينيون وحتى اليهود أنفسهم. ولفت إلى أن المناهج الدراسية والتعليمية العربية ما زالت تتبنى هذا الفهم الخاطئ لجغرافية التوراة إلى الآن.

كما وأكد عدم الخلط بين إسرائيل واليهود، فهما مفهومان مختلفان تماما: فبنو إسرائيل هم قبيلة عربية بائدة كفت عن الوجود مثلها مثل قبائل عربية كثيرة، أما اليهودية فهي دين والانتساب إلى الدين

لا يعطي الحق بالانتماء إلى العرق.
فهل من سبيل إلى مواصلة نقد وتفكيك الرواية اللاهوتية التاريخية المهيمنة؟

المقدمة:

يعتبر فاضل الربيعي من الباحثين الجدليين القلائل الذين رفضوا الرواية التوراتية التي اعتمدها المستشرقون عن تاريخ فلسطين والتي كرست منظومة من الأفكار الزائفة والخاطئة المليئة بالتناقضات. ويطرح الربيعي في كتابه :«**القدس ليست أورشليم**» نظرية جديدة تقوم على إعادة تركيب وبناء الرواية التوراتية استنادا إلى النص العبري ويؤكد على الأسس التي تشكل جوهر اطروحته الجديدة : إن القدس الموصوفة في التوراة (وطبقا للنص العبري) لا علاقة لها بالقدس العربية على الإطلاق. وبهذا المعنى وحده، فالقدس ليست هي أورشليم كما يزعم في الدراسات الكتابية المعاصرة (من الكتاب المقدس)، بل إن اسمها التاريخي الذي عرفه العرب في الجاهلية ثم بعد ظهور الإسلام هو اسم «**بيت المقدس**».
إن عدم التمييز والإصرار على المطابقة التعسفية والجهل بجغرافية التوراة هو الذي أدى إلى حدوث خلط مأساوي في الجغرافيا نجمت عنه فوضى عارمة في التاريخ الفلسطيني اختلطت فيها وتداخلت عصور وجماعات وأحداث لا يجمعها اي جامع. لذلك فإن إعادة وضع الرواية التوراتية في بيئتها التاريخية سوف يشكف عن الوجه الحقيقي للتاريخ المتلاعب به، وبشكل أخص رواية التوراة لحادث السبي البابلي، لأن المخيال اليهودي المعاصر احتكر حادث السبي البابلي برمته، ونسبه الى اليهودية وحدها، مع ان الحادث التاريخي لم يكن موجها ضد جماعة بعينها بل شمل جماعات اخرى . وهو جزء من تاريخ المنطقة في عصر الإمبراطورية البابلية – الاشورية وكذلك يجري التلاعب في جغرافية الحادث وتصوير مسرحه في فلسطين. ويقول الربيعي :«**ان تصحيح تاريخ فلسطين القديم يستحق من الباحثين العرب القيام بمغامرات علمية جريئة من هذا النوع في سياق تحدي رواية الغرب الاستعماري ودحضها من اساسها**».

تمهيد:

- **الأساطير الصهيونية**

تقوم السياسة الصهيونية وبرنامجها الاستعماري الذي انتجته الرأسمالية الأوروبية، ودعمته الامبريالية الاميركية في ما بعد، على اسطورة تنادي بالعودة الى فلسطين كونها ارض الميعاد ، وهذه السردية ما هي الا اسقاطات ايديولوجية تبريرية للنزعة الصهيونية تهدف الى انتزاع القدس وفلسطين من اهلها، من اجل الامساك بمركزية المجال الجيو– استراتيجي للقدس وفلسطين كمقدمة للامساك بالاراضي العربية لتحقيق المقولة الصهيونية التلمودية في اقامة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل.
وسعت الصهيونية العالمية الى انشاء دولة يهودية خالصة لا يوجد فيها اي عنصر اخر غير اليهود، والاّ فإنها تكون قد فشلت في تحقيق مشروعها من اساسه، لانه يقتضي احلال اليهود محل العرب.
وأسس المشروع الصهيوني استراتيجيته الإحلالية على مسارين متلازمين: الاول منهما يتمثل في اضفاء الطابع الاسرائيلي على فلسطين اداريا وديموغرافياً وسياسيا، وهذا المسار هو مسار ظرفي مرحلي، اما المسار الثاني، فهو مسار ايديولوجي ويمثل في ترجمة النبوءات التوراتية المزعومة حول مقولتي الارض الموعودة، وشعب الله المختار، واقامة المجتمع والدولة اليهوديين[(2)].
وتقوم هذه البدعة الصهيونية السياسية على احلال « دولة اسرائيل» محل «إله اسرائيل»، وفي الواقع ما هي الا حاملة طائرات نووية حصينة تابعة للولايات المتحدة الاميركية، التي تريد ان تفرض هيمنتها على نفط الشرق الاوسط ، الذي يمثل عصب النمو الغربي، (وهو نموذج « نمو « يكبد العالم الثالث كل يومين عددا من الموتى يعادل ضحايا القنبلة الذرية في هيروشيما وذلك طبقا لتقديرات « صندوق

(2) محمد مراد : القدس بين الاجتثاث الصهيوني والمهادنة الدولية، دار المواسم، 2008 ، ص 11و 40 .

النقد الدولي »)[3].
اما الاسطورة الاغرب فهي ان انشاء «دولة اسرائيل» اصبح يمثل «الرد الالهي على المذابح النازية»، وكأن
«اسرائيل» هذه هي الملاذ الوحيد لضحايا همجية « هتلر»، ومن اجل ذلك جرت المبالغة في اعداد الضحايا وتضخيم الرقم الى ستة ملايين ضحية، وكان الهدف ان تصبح الانسانية جمعاء شريكة فيما يسمى «اكبر عملية ابادة في التاريخ» وان تنسى تماما ضحايا الابادة عند الآخرين، ومنهم مثلاً ستين مليونا من الهنود الحمر في اميركا ومئة مليون من الزنوج (قتل 10 زنوج مقابل كل اسير بيع كعبد) ، وان تنسى كذلك هيروشيما ونكازاكي، والقتلى خلال الحرب العالمية الثانية البالغ عددهم نحو خمسين مليونا، وكأن النازية لم تكن سوى مذبحة واسعة للقضاء على اليهود ، وليست جريمة في حق الانسانية بأسرها. ولكي تكتمل عملية التعمية والتمويه كان من الضروري استخدام كلمة ذات مدلول لاهوتي مثل « الهولوكست « لاضفاء طابع التضحية على المذابح الحقيقية وادخالها بشكل او بآخر في صميم المشيئة الالهية.
ولا بد من تأكيد أن التبرير « اللاهوتي « المزعوم للاعتداءات الاسرائيلية، انطلاقا من قراءة متزمتة لنصوص منزلة، من شأنه ان يحول الأسطورة الخرافية الى تاريخ . فالرمز العظيم المتمثل في خضوع ابراهيم المطلق لارادة الله، وفي ان تتبارك فيه جميع قبائل الارض، يتحول الى نقيضه القبلي : اذ تصبح الارض المغتصبة» ارضاً موعودة « شأنها شأن اي ارض موعودة لدى جميع شعوب الشرق الاوسط من بلاد ما بين النهرين وحتى مصر. فيحول سياسيو الصهيونية هذا الرمز الموجه الى كل الشعوب التي تنفذ ارادة الله رب العالمين ليصبح معجزة متفردة وامتيازاً يهبه اله منحاز ومقصور على جماعة بعينها الى «شعب مختار» ، كما في جميع الاديان ذات الطابع القبلي، وجميع النزعات القومية التي تزعم كل منها ان شعبها هو « الشعب المختار» الذي تقع على عاتقه مهمة تنفيذ ارادة الله، وهو الامر الذي يتبدى في عبارات من قبيل : «بالفرنسيين تتحقق المشيئة الالهية» لدى الفرنسيين، أو «الرب معنا» لدى الألمان، أو حتى عبارة « نحن نؤمن بالرب» In God We trust، وهي ضرب من الكذب مطبوع على أوراق الدولار، الذي يصبح الإله الأوحد القادر على كل شيء في وحدانية المال والسوق[4].

- **التطهير العرقي:**

إن عملية اقحام الأسطورة في التاريخ ، والادعاءات المرتبطة بهذا « الترقيع التاريخي « لتبرير سياسة ما، يتمثل في استخدام الروايات التوراتية كأداة. وما برحت هذه الروايات تلعب دوراً حاسماً في مصير الغرب، حيث استخدمت كستار لأشد الأعمال دموية : منذ اضطهاد اليهود على أيدي الرومان، ثم على أيدي المسيحيين، مروراً بالحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش والحلف المقدس ، والهيمنة الاستعمارية، والاعتداءات التي يمارسها الكيان الاسرائيلي، من خلال سياسته التوسعية، ومن خلال جماعات الضغط الموالية له، الموجودة في الولايات المتحدة الأميركية، والتي تلعب دوراً بارزاً في سياسة الهيمنة العالمية والعدوان العسكري التي تنتهجها امريكا. ويقول غارودي :» إن استغلال ماض أسطوري على هذا النحو يقود مستقبل عالمنا الى ما يمكن أن يكون انتحاراً كونيا».

أولاً : نقد أسطورة التماثل بين أسماء الأماكن في التوراة وجغرافية فلسطين

إن النص التوراتي يميّز بدقة متناهية بين مكانين منفصلين لا صلة بينهما، يدعى أحدهما قدش _ قدس (نفتح الحرف الأول والثاني من الاسم _ والسين والشين في العبرية حرف واحد عند النطق)،

---

(3) روجية غارودي : الاساطير المؤسسة السياسة الاسرائيلية، ترجمة محمد هشام، دار الشروق ، الطبقة الرابعة، القاهرة 2002 ، ص 160 .

(4) روجيه جارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق ، ص 18 و 64

فيما يدعى الآخر أورشليم، وهما مكانان لا رابط بينهما على مستوى الجغرافيا أو على مستوى الثقافة الدينية. فالأول وكما يتضح في وصف التوراة، جبل شامخ تم تقديسه اي (تطهيره) أو تحريمه فسميّ (قدش _ قدس). أما الاسم الآخر (أورشليم) فاسم لمدينة من المدن، يتكرر حضورها في نصوص مختلفة من التوراة، دون أي رابط جغرافي مع الجبل.

ولعل وصف التوراة الدقيق لجبل قدش _ قدس من النوع الذي لا يقبل أي تأويل مغاير، لأنه وصف واضح لجبل وليس لمدينة، وهو يشير في آن واحد إلى جبل بعينه وإلى موضعين آخرين، لا يدعى أي منها «أورشليم». وهذا لا ينطبق على وصف القدس العربية لا من قريب ولا من بعيد . ولأن النص يتحدث عن جبل شامخ وليس عن مدينة، فإن من غير المنطقي مطابقة القدس العربية التاريخية بقدش _ قدس الوارد ذكرها في التوراة.

ولقد ورد في نص سفر يشوع (15:1: 6) النص التالي الذي يحدد موقع جبل قدش _ قدس على نحو لا يقبل التأويل : والترجمة الأمنية للنص تقول ما يلي : (وكانت المرتفعات لسبط يهوذه ولعشائرهم،قابل آدم من سفوح ضين، وجنبي، ومن أقصاها تيمن، وكان لهم القابل من نجب من أقص يام، وفي لسن مواجها الجنوب، وتخرج الى جنب على المعلاة وعقربيم، فتجتاز صنه وتصعد من جنب الى قدش، وبرنع، وعبر وحضر فتصعد أدره).

إن هذا الوصف الذي سجله النبي يشوع لموضع يدعى قدش _ قدس ، يتطابق تماما مع وصف الهمداني للمكان نفسه والاسماء نفسها : فقدس عنده تتصل بسراة جبليه وعرة محاطة بمجموعة من الوديان العميقة. ومن الملاحظ ، أن هذا الجبل المبارك يتصل بسراة جبلية تدعى : نجب (ها _ نجب) وسلسلة من الوديان منها وادي حضر ووادي جبل عدره وجبل يام، قرب مصب من مصبات وادي الملح . ويبين لنا الربيعي كيف أن الهمذاني وصف بدقة مذهلة كل المواضع والاماكن التي تتحدث عنها النصوص التوراتية، فجبل قدش _ قدس المبارك جبل شامخ في جبال اليمن، يقع على بعد 80 كلم الى الجنوب من مدينة تعز اليوم. وقد ورد اسمه في قوائم الكرنك المصرية التي تزين جدران المعبد المصري القديم، باعتباره مكاناً استولى عليه المصريون في حملة تحمتس الثالث، والتي بلغت، بإجماع علماء الآثار وكتّاب التاريخ ، وعلماء المصريات، عمق الجزيرة العربية وجنوبها الغربي ((5)).

وفي قوائم الكرنك المصرية يتبيّن أن جبل قدس يقع قرب وادي حضر بالضبط كما في وصف التوراة والهمداني . ومن المؤكد أن قوائم الكرنك لا تشير قط الى أورشليم. وهذا مقتطف من قائمة الكرنك المصرية:

قائمة الكرنك

الاسم في قائمة الكرنك– مجدو	الاسم في صيغته العربية
1–قدش	قدس
2– مكت	مخت–المخا
3– خطي	خطي
4–عنسو	عنس
5– حصر	حضر
6–صور	صور

(5) فاضل الربيعي : القدس ليست أورشليم، المصدر نفسه، ص 19.

7–روس	روس

إن الأماكن والمواضع الوارد ذكرها في القائمة المصرية هي ذاتها الأماكن والمواضع التي وصفها الهمداني في كتابه «**صفة جزيرة العرب** « باعتبارها أماكن ومواضع يمنية قديمة، فالمخا (مخت أو ومكت) هو ساحل اليمن العظيم المعروف عند الجغرافيين اليونانيين بساحل المخا – مكت، وحضر– حصر في العبرية هي من أشهر وديانة، كما أن صور اليمن (وليس صور لبنان) هي من الوديان العظيمة التي وصلها المصريون في زحفهم، بعد أن استولوا على عنس (عنسو عند المصريين والتي لا تزال قائمة الى اليوم بعشائرها وقراها) .

والامر ذاته ينطبق على كل الأسماء الوارد ذكرها في نصوص التوراة الأخرى . ومن الملاحظ أن قدش – قدس برنيع، الوارد ذكرها في نص يشوع، تقع في سلسلة جبلية تدعى ها نجب (النجب) وهي سلسلة الجبال الممتدة من تهامة ونجران حتى منطقة الجوف ، حيث يقع جبل يام ووادي الملح .

واذا ما وضعنا النصين (نص يشوع ونص الهمداني) في إطار مقاربة جغرافية و تتضمن التسلسل الدقيق للمواضع والاماكن التي تودي الى جبل قدش عند يشوع، وقدس عند الهمنداني، فسوف نحصل على التماثل المدهش التالي: (بعض الأمثلة)

يشوع	**الهمداني**
ها نجب (النجب)	النجب
أدم	وادي أديم
حصر	وادي حضر
قدش	جبل قدس

وبكل يقين لا يوجد في هذه الجغرافيا (نقب صحراوي) يؤدي الى القدس العربية في فلسطين، و(ها نجب) ترجمت اعتباطا وتزويراً للجغرافيا والتاريخ الى (النقب) وهذا تلاعب فاضح، لأنه يستوجب أن نقلب كل حرف جيم (بالنطق المصري) إلى قاف .

- **رواية التوراة عن سقوط أورشليم وجبل صهيون.**

كذلك فإن النص التوراتي يتحدث عن سقوط أورشليم بعد أن هاجمها الملك داود من جبل يدعى جبل صهيون، وإن داود أطلق اسمه على الجبل – الحصن الذي استولى عليه، فصار اسمه « مدينة داود». وبالطبع فإنه لا يوجد في طول فلسطين وعرضها جبل يدعى جبل صهيون، بل إن جبل صهيون هو جبل عربي شامخ من جبال اليمن، والشعر الجاهلي تغنى به وذكره بالارتباط مع منطقة نجران وليس بفلسطين. يقول النص التوراتي حرفينا ما يأتي : (واستولى الملك ورجاله على أورشليم يبوسي وطرد سكانها من الأرض ، وأخذ داود الملك حصن صيّون[(6)]، فأصبح اسمه مضارب داود)[(7)].

أما جبل صهيون في اليمن الذي يؤدي الى نجران من صنعاء، فيورد الربيعي الواقعة التاريخية التالية ليوضح لنا أين يقع، وكيف ارتبطت به أحداث موثقة في تاريخ العرب القديم : « عندما صعد الملك اليمني اليهودي يوسف بن زرعة بن حمير الأصغر، المعروف عند المؤرخين العرب باسم (ذي نواس الحميري) في العام 524 م إلى عرش اليمن، اثر مكيدة (انقلاب قصر) انتزع بواسطتها السلطة من أيدي الأسرة السبئية، أعلن على الفور عن عودة اليهودية إلى اليمن كله ديناً رسمياً داعياً اليمنيين

(6) صيون = صهيون والحرف (التاء) الوسطية حرف صوتي كما في كلام أهل اليمن : يريق الماء= يهريق الماء.
(7) فاضل الربيعي : القدس ليست أورشليم، مصدر نفسه، ص 13 .

جميعاً للعودة إلى دين آبائهم وأجدادهم».

وبعد ذلك، قرر الملك اليمني اليهودي الزحف إلى نجران حيث كانت المسيحية تنتشر فيها وتقام على أرضها الكنائس الكبرى مما أثار يقظة مشاعر اليمنيين للعودة الى اليهودية. وبذلك نشأ في هذا الوقت، وقبل ظهور الإسلام بأكثر من نصف قرن، وضع ديني وسياسي فعقد ساهم في تفاقم التوتر الديني. دفع بالملك اليمني – المتهود للزحف نحو العاصمة المسيحية في الجنوب الغربي من جزيرة العرب، فما كان من الأعشى الهمداني، اليمني (النصراني) المتعاطف مع أساقفة نجران، إلا أن سافر على عجل والتقى اساقفتها محذراً لهم من حرب يعد لها يهود اليمن. وفي هذا اللقاء قال قصيدته الشهيرة التي حذر فيها عبد المسيح بن الديان أسقف نجران العظيم، وشقيقه ومساعده وراعي كنيسته يزيد :

أيـا سـيديّ نـجران لا أوصـيكما بنجران خيراً فيما نابها واعتراكما
فـإن تـفعلا خـيراً وتـرتـديـا بـه فـإنـكما أهـل لـذاك كـلاكـما
وإن تكـفيا نـجران أمـر عظـيمةٍ فقبـلكما مـا سـادها أبـواكـما
وإن أجلبت صهيون يوما عليكما فإن رحى الحرب الدكوك رحاكما

ولقد وثق القرآن الكريم الحدث التاريخي في (آية الأخدود) من سورة البروج، قال تعالى:
﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ وهذه الآية سجلت لحظة الاضطهاد اليهودي لنصارى نجران، حيث رمي ما يزيد على 16 ألف نصراني في أخدود من نار، فكانت محرقة عظيمة لم يعرفها التاريخ من قبل.

وإن رواة الأخبار القدامى ممن رووا القصة – والتي سجلتها وثائق الكنيسة بدقة – كانوا يعرفون جغرافية الحدث التاريخي، ويعرفون جيداً جبل صهيون الذي هبط منه جنود الملك اليهودي ذو نواس الحميري، ليتجهوا منه مباشرة نحو نجران.

ومن غير المنطقي الافتراض أن جبل صهيون كان في هذا الوقت من التاريخ ضمن جغرافية فلسطين، وأن فلسطين هي التي هاجمت نجران وأحرقت النصارى، فالتاريخ لا يعرف واقعة من هذا النوع.

- **قدس في الشعر الجاهلي والتوراة**

لا بد من التمييز بين سائر المواضع الجبلية الواردة في هذه النصوص ، منعا للخلط بينها وبين القدس العربية في فلسطين.

لقد ورد في الشعر الجاهلي ذكر قدس – بالضم – وهو الجبل الشامخ – وهما جبلان – في بطن وادي الرمة، في الكثير من القصائد ، بينما وصف الهمذاني في « صفة جزيرة العرب «. جبل قدس – بالفتح – في سلسلة جبال المعافر اليمنية. وهذا يعني أننا أمام ثلاثة مواضع، تماما كما في التوراة وبالاسم نفسه.

قال الشاعر الجاهلي أبو ذؤيب الهذلي:

فإنك حقاً أيّ نظرةً عاشقٍ نظرتَ وقُدس دُونها ووقير

جبل قدس هذا – بالضم – والذي يتغنى به الهذلي، ليس جبل قدس – بالفتح – في جبال المعافر الى الجنوب من مدينة تعز، بل جبل في وادي الرمة، وهما جبلان أحدهما أبيض ويكن العرج، والآخر أنف أحمر شامخ وكلاهما قدس .

وحسب (**لسان العرب**) لابن منظور، فإن كلمة قدس تعنى (الموضع المرتفع الصالح للزراعة)،

والتقديس (التطهير والتبريك) ، والقدس – بالفتح – تعني السطل لانه يتقدس به.

وقال البحتري :

فإذا هم افتخروا به لم يجبحوا بقديم ما ورثوا من العلياء
صعدوا جبالاً من علاكِ كأنها هضبات قدس ويذبل وحراء

وقال خفاف بن ندبة السلميّ:

طرقتُ أسيماء الرحالِ ودوننا من فيد غيقة ساعد فكثيبُ
فالطود فالملكات أصبح دونها ففراع قُدس فعمقها فحسوبُ

وقال كعب بن زهير:

وأنت امرؤ من أهل قُدس أوارة أحلتّكَ عبد الله أكنافُ مبهلِ

وقال كثير عزّة :

كأن أخاهُ في النوائبِ ملجأ إلى علمٍ من رُكن قُدس المنطق

وقال كثير أيضا :

فكأنه إذ يغتذي متنسماً وهداً فوهداً ناعق برئالِ
كالمضر حي عدافأ فأصبح واقعاً من قُدس فوق معاقل الأوعال

ومن سائر هذه المقتطفات يتأكد لنا، أن العرب القدماء عرفوا قُدس في وادي الرمّة وهما جبلان باجماع الرواة والجغرافيين [8].

- **نموذج للرواية الاستشراقية المزيفة :**

استمر الاستيلاء التدريجي للقبائل العبرانية على فلسطين، وتشكيل اتحاد القبائل الاسرائيلية لفترة امتدت لتصل الى ما يزيد على أربعمائة سنة. وتصف التوراة هذه الأحداث بدقة تفصيلية متناهية، بالفصول التي تبدأ بحملة موسى عبر الصحراء وصولاً الى سفر القضاة. ولم تدم المملكة الموحدة لكل من شاول وداود وسليمان سوى مائة عام ليس إلا – وهذه حقيقة يضع عليها علماء التاريخ حديثا إشارة استفهام – وما لبث أن انفجر في ما بعد التناقض القديم بين قبائل الشمال والجنوب وقامت منذ ذلك الحين مملكتان للاسرائيليين، إسرائيل في الشمال لمدة مائة عام، ويهودا في الجنوب لمدة مائتين وعشرين عام)[9].

في هذه الرواية الاستشراقية التقليدية للتاريخ الفلسطيني القديم، والتي يصادفها الباحث في كثير من المؤلفات، (بما فيها كتب التاريخ العربي)، يمكن تحديد الكثير من الأخطاء الفادحة، مثلا: لا يوجد حتى هذه اللحظة وعلى وجه الإطلاق – بعدما يقرب من سبعين عاماً من البحث في باطن الأرض كما بيّن عالم الآثار الاسرائيلي هرتزوغ – أي دليل تاريخي موثوق به في صورة : لُقى أثرية أو سجلات أو نقوش، يمكن أن يقدم أي نوع من الدعم والتأييد لما يزعم أنه «استيلاء القبائل العبرانية على فلسطين». لقد كتب هرنزوغ

Herzog في نهاية عام 1998 ما يلي: « إن علماء الآثار الذين عملوا بحماسة منذ بدايات القرن

(8) فاضل الربيعي : القدس ليست أورشليم، المصدر نفسه، ص 23.
(9) كلاوس بولكين (قديما في البلد المقدس : رحلات إلى فلسطين القديمة 1986)

الماضي بحثاً عن مواد تؤكد ما جاء في العهد القديم، لم يجدوا أي شيء. ولكن كلما ظهر شيء ما على السطح تأكد لنا بوضوح أن: الكثير من قصص العهد القديم ليست صحيحة.... إن أيا من المكتشفات لا تبيّن أنها تنتمي الى عصر داود وسليمان»[10].

ثانياً : قَدس التوراة ليست قُدس فلسطين

يذكر الربيعي أن ما يقصد بقدس ، الجبل المبارك المسمى جبل قَدس – بفتح الحرفين الأول والثاني كما يلفظه اليمنيون –في مخلاف المعافر القديم، والذي يقع على بعد 80 كلم الى الجنوب من تعز باتجاه عدن، والذي لا يزال معروفاً حتى اليوم، حيث عاش هناك في فترة بعيدة من التاريخ ، شعب عربي من شعوب وقبائل العرب العاربة يدعى بالعبرية فلستيم، ويدعى بالعربية : الفلس أو الفلست (حسب طريقة الكتابة اليمنية، وفي نطق بعض أهل اليمن : قرشت في قريش، وفرست في فرس).

كما يكتب اسم هذا الشعب القديم باستخدام الهمزة والميم في أوله – وهما أداتا التعريف المنقرضة التي حلت محلها أداة التعريف الجديدة أي الألف واللام – في صورة (ء م فلس الفلس) وهي لغة كانت معروفة في جنوب شبه الجزيرة العربية. لقد صورت القراءة الاستشراقية المخيالية هذا الشعب على أنه شعب من الغرباء عاشوا وأقاموا في فلسطين التاريخية، وأنهم كانوا من المتسللين الذين قدموا من جزيرة كريت في اليونان واستولوا على أرض الميعاد اليهودي . وهؤلاء – الفلستيون – كما تقول التوراة في نصوص متفرقة، عاشوا كجماعة وثنية متمردة دخلت في حروب ومعارك طاحنة مع بني اسرائيل. وفي الواقع لا وجود لجبل في القدس العربية، كما أنها لا تقع على جبل. وفي الحقيقة إن جبل قدس – قدش هذا لا يزال يحتفظ باسم الجماعة القديمة التي تدعى الفلست، وبالضبط تماما كما ورد في رواية التوراة، كذلك يصف الهمذاني في كتابه : **(صفة جزيرة العرب)** كلا من الجبل والجماعة التي عاشت بالقرب منه في أول سراة اليمن : ابتداءً من ارضى المعافر، فساحل بني مجيد (مجدو) فجبال عدن. ويقول الهمذاني ما يأتي : « ثم يتصل بمخلاف المعافر في هذه السراة، بلد الشراعب من حِمْيَرَ (والضباب واد في قدس المعافر جنوبي هذا، والضباب أيضاً في المفاليس من المعافر أيضا) ثم يتصل بسراة الكلاع سراة بني سيف» ((11)).

ومن هنا تنكشف الحقيقة واضحة : ها هنا قَدس ، وها هنا المفاليس (ها – فلستيم. والميم اليمنية – الحميرية بديل من الهاء العبرية كأداة تعريف) يعني هذا أن التوراة وهي تتحدث عن قدس ، وعن ها – فلستيم (الفلستيون من فلست) إنما تتحدث عن هؤلاء حصراً لا عن الفلسطينيين. إن وضع الرواية التوراتية في هذا الإطار الجغرافي هو المفتاح الذهبي في حل ألغاز التوراة برمتها، وفهم السبب الحقيقي والاكثر اقناعاً لفشل العلماء في العثور على اي دليل علمي يؤكد وقوع الأحداث التي ترويها التوراة في فلسطين. والأهم من كل ذلك، أن التوراة لا يمكن أن تقرأ قراءة صحيحة، إلا إذا وضعت في بيئتها الحقيقية التي ولدت فيها، وهي البيئة الروحية القديمة لجنوب غرب الجزيرة العربية.

- **لائحة أسرى القبائل العربية اليهودية في السبي البابلي**

لقد أعد عزرا النبي قائمة للاسرى من القبائل اليمنية اليهودية في بابل، بعد قرار الملك الفارسي قورش عام 539 ق.م إطلاق سراحهم وتحريرهم من العبودية، ومن ثم السماح بعودتهم الى أورشليم القديمة، وذلك إثر سقوط بابل في يده. وقد أعاد الربيعي ضبط قائمة الأسماء في سياق إعادة تحديد المواطن التاريخية الحقيقية للقبائل والجماعات، العائدة الى موطنها بموجب المرسوم الامبراطوري . فتبين له أن الذين تعرضوا للسبي كانوا من القبائل العربية اليهودية التي خاضت مواجهة دامية ومتواصلة مع الامبراطورية البابلية – الاشورية

(10) فاضل الربيعي : شقيقات قريش، بيروت 2002.
(11) فاضل الربيعي : القدس ليست أورشليم، المصدر نفسه، ص 30 و 31 .

(الوثنية). وهؤلاء لا صلة لهم بفلسطين أبدا. الحدث برمته وقع في سراة اليمن وليس في فلسطين. ولعل القائمة التي سجلها عزرا النبي، وتضم اسماء وانساب الأسرى من أبناء القبائل، تشير بوضوح لا مثيل له الى أصولهم العربية – اليمنية. وهؤلاء يمثلون جماعات بدوية دانت بدين بني اسرائيل في اليمن القديم، وقد جرى أسرها ونفيها من أوطانها في إطار حملات حربية متتابعة، قامت بها الأمبراطورية الآشورية لبسط نفوذها على سواحل البحر الأحمر ((12)).

وكذلك فإن قورش قام بإعادة ممتلكات الهيكل المنهوب في أورشليم، وتسليمها إلى زعماء وأنبياء القبائل العائدة.

وعن أبرز القبائل والعائلات العائدة من السبي البابلي يقول عزرا ما يلي : (وهؤلاء، أبناء البلاد ممن صعدوا من السبي، والنفي الذي قام به نبوخذ نصر ملك بابل الى بابل. عادوا الى أورشليم ويهودا. كل انسان إلى منزله. والذين جاؤوا مع زُربابل. هم : يشوع، ونحميه، وشريه، ورعليه، ومردك، وبلشن – بلس ومسفر، وبجاي، وبعنه...)

ثم يضيف النص ما يلي : (ومن بين القبائل العائدة من السبي، كان هناك : بنو جبر وهم : خمسة وتسعون نفراً وبنو بيت لخم –لحم : مئة وثلاثة وعشرون نفرا، وبنو حريشة، وكروب، وأذن، وأمير). وبعض هؤلاء بحث عن كتاب أنسابه فلم يعثر له على دليل يؤيد انتسابه الصريح الى بني اسرائيل. ولذلك تم استبعادهم من سلك الكهنة، واعتبروا غرباء، فعاش بعضهم في بابل إلى الأبد مندمجاً مع السكان. ومع هذا تم السماح لبعضهم الآخر بالعودة ضمن القائمة. ويلاحظ في هذا النص أنه يستخدم تعبير (هؤلاء أبناء البلاد) أي بلاد اليهودية.

ويخلص الربيعي الى أن فلسطين التاريخية لا تعرف قبيلة واحدة من هذه القبائل، لا من خلال بقايا أنسابها ولا من خلال بقايا لغوية تؤكد وجودها. وليس ثمة وثيقة تاريخية او نقش أو سجل من سجلات الأمبراطورية البابلية – الآشورية، أو الفارسية يمكن أن تدعم فرضيات الرواية الاستشراقية القائلة بوقوع السبي في فلسطين. ومن المؤكد أن كل هذه الأسماء هي لمواضع ومواطن وبطون عربية – يمنية صريحة النسب ((13)) .

ثالثاً : إعادة بناء أورشليم في سراة اليمن

في العام 446 ق.م، وبعد نحو سبعة وثمانين عاماً من سقوط بابل في قبضة الفرس ، أصدر الملك الفارسي أرتحششتا الأول أمراً ملكياً جديداً يُسمح بموجبه لبقايا اليهود من القبائل العربية – البائدة – التي أسرها الآشوريون، ولم تتمكن من الاستفادة من مرسوم الملك قورش، أن تعود الى مواطنهم الأصلية. بيد أن أهم ما جاء في المرسوم، كان التأكيد على حق الأسرى العائدين في بناء ما تهدم من مدنهم وقراهم، ومنها بشكل أخص العاصمة الدينية أورشليم. وبموجب هذا المرسوم عاد نحميا النبي (الذي وضع القائمة الأصلية بالعائدين) إلى أورشليم.

وفور عودة نحميا إلى موطنه في سروحمير بدأ بدعوة سكان أورشليم الى الشروع الجدي والنشط في العمل على ترميم ما تهدم منها. غير أن إعادة البناء كانت ترتبط من المنظور السياسي – بالصراع على عرش داود ، أي بالصراع على تسمية ملك جديد في مملكة يهوذا (قوم هود في المرويات العربية الإسلامية) . وتلازم ذلك مع مخاوف من غضب الفرس من عودة المملكة اليهودية الى واجهة الاحداث مع تنامي دور الامبراطورية الفارسية في السراة اليمنية بعد أن أصبحت الأمبراطورية الأعظم في المنطقة. ولا بد من التذكير بأن فكرة التحرير الفارسي لليمنيين، أي تحرير القبائل اليمنية اليهودية من الأسر البابلي كان مرتبطاً بالتحرير الفارسي لليمن من نفوذ الحبشة المسيحية، الوكيل القوي لروما. وإن

(12) فاضل الربيعي : القدس ليست أورشليم، المصدر نفسه، ص 32 .
(13) فاضل الربيعي : المصدر نفسه، ص 32 و33

بعض اشكال المقاومة التي ظهرت إبان محاولة نحميا قيادة عمليات بناء أورشليم، تكمن في التنافس المحموم بين القبائل العائدة من النفي، وتلك التي ظلت في أرضها، وهو تنافس تقليدي بين العائدين الطامحين الى الزعامة، والقوى المحلية ((14)). كما ان بعض أوجهها الأخرى يتصل بالصراع الديني بين الوثنيين والموحدين.

ويقول الربيعي : « وإذا ما سرنا على خطى نحميا والهمذاني إنطلاقاً من بيت بوس – أورشليم، وتفقدنا أسوار المدينة المحطمة في السراة الجبلية، ثم مضينا في الأودية المحيطة بها، فنطابق بين الأسماء في النص المقتطف من الهمذاني مع جزء من قائمة نحميا، فسوف نكون وجها لوجه ودفعة واحدة أمام أكثر من عشرة مواضع – مما ورد في القائمة – ها هنا بين بوس وهي أورشليم كما تقول التوراة و والى الجوار بركة سلوة – مياه سلوه، ثم مطره وأوديتها الكثيرة...»

وبعد دراسة دقيقة معمقة يتوصل الربيعي الى ان القبائل اليمنية في السراة هي التي قامت بترميم وإعادة بناء الأسوار في مكان تعرفه جيداً يخصها في الصميم. وهذا الفضاء الجغرافي المتكامل الذي جمع القبائل والوديان والجبال في وحدة نادرة، يستحيل العثور على ما يماثلها في جغرافية فلسطين.

لقد قامت القبائل من مختلف مخاليف السراة اليمنية، من عدن والكلاع وأبين وصنعاء وسواها، ببناء أسوار أورشليم اليمنية التي دمرها الآشوريون ((15))

رابعاً : صورة الفلسطيني في التوراة

من خلال بعض المقاطع من سفر صموئيل الأول(4: 5: 12: 4) من النص العربي و(11: 6 :9 :5) من النص العبري، يحاول الربيعي التعمق في مضمون الصور النمطية التي أنتجها المخيال الغربي الاستشراقي عن الفلسطينيين في التوراة.

وتقول الرواية التوراتية إن بني اسرائيل اصطدموا بجماعة تدعى « الفلستيين « نسبة الى مكان بعينه يدعى فلس وإن هؤلاء استولوا على تابوت العهد في موضع يدعى أوبن العيزار. وفي الواقع لا وجود (لفلس أو أوبن أو أبان) إلى جوار بعضها البعض في فلسطين التاريخية، بينما يذكر الهمذاني في « صفة جزيرة العرب» والشعر الجاهلي كذلك، أن (جبل أبان) من أشهر جبال العرب وهو يقع بالفعل على مقربة مباشرة من أشهر بيوت العبادة الوثنية عند القبائل العربية « بيت الفلس» ، وهو موضع جبلي يتبع قبيلة طي اليمنية غير بعيد عن (سُلمى) و (لبنان)، وأن المعارك التي دارت عند سفوح (أبان) بين بني اسرائيل والفلستيين (ها– فلشتيم) لم تنشب في فلسطين، بل في فضاء القبائل العربية اليمنية. وبالتالي، فإن الفلسطينين لم يكونوا طرفا فيها. وان الزج باسمهم في « قلب تاريخ زائف» ما هو الا من تلفيق مخيلة اوروبية، لا غرض له سوى إخراجهم من التاريخ الحقيقي بعد زحزحتهم من الجغرافيا، وذلك عبر تصويرهم كأحفاد لمهزومين أمام بني اسرائيل، ليس في العام 1948 للميلاد وانما في العام 948 ق.م. إن هذا « الطرد من التاريخ الحقيقي» لجماعة بشرية معاصرة، و«حجزها داخل تاريخ ملفق» وتلطيخ سمعتها، يندرج في سياق تجريد السكان الاصليين الذين سلبت أرضهم مع بداية العصر الاستعماري، وتم تجريدهم من كل ما يملكون من مقومات حياتية وعناصر ثقافية، وتصويرهم كأحفاد لأشرار قدامى اغتصبوا العهد ذات يوم بعيد ، فاستحقوا الهزيمة بسبب ذلك. إن وجود الفلسطينيين قرب جبل أبان في فلسطين، كما توحي بذلك القراءة الاستشراقية الغربية، لا أساس له وهو من تلفيق اليهود الأوروبيين الذين قاموا بتصعيد هذه الصورة النمطية الى مصاف حقائق التاريخ . والمثير للاهتمام أن أحداً لم يتساءل عن السبب الذي يدعو محرر النص العبري الى كتابة الاسم على هذا النحو (فلشتيم)–بالتاء وليس بحرف الطاء – إذا ما كان يقصد الفلسطينيين، لأن العبرية تعرف

(14) فاضل الربيعي: القدس ليست أورشليم، المصدر نفسه، ص 47.
(15) فاضل الربيعي: القدس ليست أورشليم، المصدر نفسه، ص 57.

حرف الطاء ولا موجب للاستعاضه عنه بحرف التاء. في الواقع لم يعرف العرب ورحّالة اليونان وشعراء الجاهلية جماعة فلسطينية قرب جبل أبان هذا، ولكن بالمقابل، سجل العرب في أشعارهم ومروياتهم اسم شعب عربي وثني قديم عاش بالفعل في المكان نفسه، وعرف نسبة الى بيت العبادة الوثنية (فلس) وفي الكتابة اليمنية يكتب (فلست) مثل (قرشت في قريش) ، والجمع بالعبرية (فلشتيم). وهذا الاسم يتطابق مع الاسم في التوراة بما يعني أنها قصدت الجماعة نفسها وليس الفلسطينيين. لقد تمت مطابقة ماكرة، ومماثلة محترفة بين الاسمين (فلستيم) والفلسطينيين. واللافت أن سكان هذا الموضع اشتهروا في المرويات العربية بأنهم من (آكلي السحت) أي الحرام، وكانوا يصطدمون مع الجماعات الموحدة والمتدينة في الجاهلية القديمة على خلفية قيامهم بسرقة المواشي وضمها إلى بيت الفلس، كما انهم تصرفوا كقطاع طرق في سياق محالتهم تأمين النذور والذبائح للمعبد.

ويتساءل الربيعي : ترى، لماذا تطلق التوراة على (فلشتيم) الصفة العبرية (ها– مشحت) وتعني بالعربية السحت، وهذا لقب تحقيري يبرز المطابقة المخادعة التي لا أصل لها في التاريخ، والتي تندرج في سياق السيطرة على السرد التاريخي لأحداث الماضي واستغلالها في الصراع الراهن على الأرض، عبر فرض استمرارية زائفة ومختلقة لما اعتبر احداثاً تاريخية ((16))؟

خامسا: أورشليم الرومانية في بلاد اليهودية القديمة

إن تاريخ الحملات الرومانية على الجزيرة العربية لإخضاع قبائلها وبسط نفوذ الإمبراطورية فيها يجسد في بعض مقاطعة الساخنة حلما قديما لطالما راود اليونانيين من قبل.

لقد بدأت هذه الحملات انطلاقا من مصر منذ عصر البطالمة واستمرت حتى زوال الإمبراطورية البيزنطية. بيد أن الاهم من ذلك رؤية مغزاها في سياق الصراعات القديمة بين الاشوريين والمصريين حين تزاحم المصريون والعراقيون القدماء وتدافعوا بالمناكب للاستيلاء على خطوط التجارة الدولية عبر البحر الأحمر. إنه لأمر صعب حقا، وخارج كل منطق تاريخي او جغرافي، تخيل وقوع هذه الحروب في فلسطين لسبب بسيط للغاية هو ان بلاد الشام التاريخية كلها كانت في هذه الآونة تخضع فعليا للسيطرة الرومانية المباشرة بينما ظلت الجزيرة العربية واليمن على العكس من ذلك عصية عليها ولم يتمكن الرومان من تحقيق وجود مستقر وفاعل في اليمن، حتى مع سقوط ميناء عدن في العام 50 ق.م. عندما نفذوا انزالا بحريا ناجحا هناك بل إن الاسكندر المقدوني وقبل نحو قرنين من هذه الأحداث لم يتمكن من تحقيق هذا الحلم ففي حملته الكبرى على الجزيرة العربية واليمن وبالرغم من نجاحه في ترك حامية عسكرية في جزيرة سوقطرة اليمنية قدرها الهمذاني بعشرة آلاف رجل، لتأمين نفوذ يوناني إفريقي هناك (وحتى اليوم لا يزال هؤلاء يعيشون في سوقطرة اليمنية كقبائل عربية لها سجلات أنساب ترتفع إلى اليونان)، فإنه لم ينجح تماما في فرض سيطرته على قبائل متمردة وغير مطيعة وتملك فوق ذلك رابطة دينية قوية ومستعدة بطبيعتها لقتال قاس في مناطق وعرة.

إن التقسيم الإداري لفلسطين والمعرف جيدا عند الباحثين لا يتضمن اي اسم من الأسماء الواردة في سفر المكابيّين. وهذا مثير بالفعل ولو افترضنا لأغراض السجال العلمي وحسب ان الرومان كانوا يخوضون صراعاتهم ضد يهوذا المكابي وبلاد اليهودية في فلسطين.

فإنه لمن المنطقي توقع قيام الكتاب الرومان بتسجيل اسماء المقاطعات التي كانت خارج نفوذهم او التي سعوا إلى إخضاعها عبر هذه السلسلة من الحروب.

والأمر المدهش في هذا الإطار ان يتجرأ التوراتيون على ادعاء وقوع الأحداث في فلسطين في عصر أنجز فيه الرومان وسجلوا بدقة كما فيه كل ما يتعلق بالتقسيم الإداري لفلسطين وبلاد الشام وفي

(16) فاضل الربيعي : القدس ليست أورشليم، المصدر نفسه ص 61.

سجلات هذا التقسيم الإداري لا وجود لأي اسم مما ورد في السفرين ((17)) .

ومن وجهة نظر الربيعي فإن الحروب المدمرة المتواصلة أرغمت القبائل العربية العاربة على الهجرة نحو حاضرة الإمبراطورية الرومانية آنذاك: بلاد الشام، وهذه القبائل بما فيها بقايا قبيلة بني إسرائيل من يهود اليمن وسواحل البحر الأحمر وتهامة ونجد اليمن واليمامة وصلت إلى جنوب بلاد الشام (فلسطين) في حدود عام 130 ق.م وليس قبل ذلك، وفي هذا التاريخ كانت أورشليم عاصمة بلاد اليهودية في سروحمير ولم يكن اسمها القدس قط ((18)) .

الخاتمة

إن الرواية الإسرائيلية المعاصرة، والقائلة إن فلسطين هي « أرض الميعاد اليهودي» وإن « مملكة اسرائيل القديمة التي أقام فيها شعب اسرائيل « تقع في فلسطين التاريخية، ما هي إلا رواية واهية مزيفة تقوم أساساً على المماثلة الشكلية والتعسفية، الباطلة، بين الأرض التي وصفتها التوراة في النص العبري، وارض فلسطين التاريخية.

بموازاة ذلك، وطبقاً لهذا الزعم غير التاريخي، تأسست فكرة زائفة أخرى تطابق بين القدس العربية – الإسلامية وبين أورشليم الوارد ذكرها في التوراة.

وبذلك تكون الرواية الاسرائيلية المعاصرة عن التماثل في أسماء الأماكن، قد تأسست في الأصل، على أرضية مطابقة ماكرة ومخادعة لا مثيل لها بين « أورشليم « والقدس « ، عندما اعتبرتهما المكان نفسه الذي وصفته التوراة.

فكان لا بد من نقد الرواية الاسرائيلية بالأدوات ذاتها التي استخدمها المخيال الغربي الاستشراقي، كسبيل وحيد يمكن من خلاله، البرهنة على بطلان هذه الرواية من اساسها.

واستطاع الربيعي بعد جهود كبيرة في تحقيقاته، وعمله البحثي الشاق ، وخاصة في مؤلفه السابق « فلسطين المتخيلة « إثبات أن فلسطين لم تعرف في أي وقت من تاريخها القديم قط ، الأرض التي وصفتها التوراة، وأن القدس العربية لم تكن تدعى في أي وقت من الأوقات بـ» أورشليم « . كما أن التوراة لم تأت على ذكر الفلسطينيين أو فلسطين لذلك فإن كل ما هو شائع من افكار وتصورات خاطئة، عن هذه المطابقة، إنما تسببت بها القراءة المغلوطة للنص التوراتي التي روج لها المستشرقون الغربيون ((19)) .

المصادر والمراجع:

1- فاضل الربيعي: القدس ليست أورشليم، مكتبة نور، 24 /أكتوبر/2015.

2- فاضل الربيعي: حقيقة السبي البابلي...الحملات الآشورية على الجزيرة العربية واليمن، دار الرافدين 2020.

3- كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السادسة، بيروت 1997.

4- روجيه جارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، دار الشروق، ترجمة محمد هشام، تقديم محمد حسنين هيكل، الطبعة الرابعة، بيروت 2002.

5- عبد الرحمن الهلوشي: الشرق: ملحمة العشق الاستشراقي الصادر عن سلسلة كتاب المجلة

(17) فاضل الربيعي :القدس ليست أورشليم، المصدر نفسه ص ٨١.

(18) فاضل الربيعي : المصدر نفسه ص 103.

(19) فاضل الربيعي : القدس ليست أورشليم، دار الفكر، دمشق 2009، ص 8 .